



خطبة صلاة الجمعة 3 / 4 / 2015 للشيخ الطبيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

### (ابني يكذب؛ فماذا أفعل؟)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليفه، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 90].

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (هَذِهِ أَجْمَعُ آيَةٌ فِي الْقُرْآنِ حَيْرٌ يُمْتَلُّ، وَلِشَرٍّ يُجْتَنَّبُ).

روى الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوَضَّعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةً صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ» [الترمذي].

### أيها الإخوة:

هذه هي الخطبة الحادية عشرة في سلسلة خطب عنوانها (فضيلة... أخلاق تعاملية)، بإمكانك التدرب على الخلق الحميد لتكتسبه، وبإمكانك التخلي عما علق بك مما لا يليق بمثلك، وهذا هدف السلسلة.

كان عنوان الخطبة الماضية (الصدق) وفي متابعة لهذا الحديث سأجعل عنوان خطبة اليوم:

### (ابني يكذب؛ فماذا أفعل؟)

### أيها الإخوة:

**الصدق:** هو قول الحق، وهو القول المطابق للواقع، والكذب خلاف ذلك، ولأن المرء يكتسب كثيراً من أخلاقه وعاداته بل وميوله من أسرته، كان الواجب الملقى على عاتق الأبوين كبيراً؛ سواءً في غرس الخلق النبيل أو في نزع الخلق الذميم، وما مثل الوالدين إلا كمزارع يتعهد نبتة غرساً وسقايةً وتقويماً وتهذيباً حتى يستوي الزرع على سوقه ويؤتي أكله بإذن ربه.

أقول: لأن الواجب الملقى على عاتق الأبوين كبير، أحببت أن أساعدهم في هذه الخطبة لأجيب كل أم وكل أب يسأل: ابني يكذب؛ فماذا أفعل؟

رجعت إلى عدد من كتب التربية والأخلاق والإرشاد النفسي والعلاج السلوكي من منشورات كلية التربية في جامعة دمشق وغيرها، لأجمع مادةً علميةً أقدمها بين أيديكم مجيئاً على السؤال. ويمكنني تقسيم المادة إلى محورين اثنين:

أولهما: أسباب الكذب عند الأبناء، والثاني: كيف العلاج؟  
وهذان هما محورا الخطبة.

### المحور الأول: أسباب الكذب عند الأبناء:

يعود الكذب عند الأبناء لأسباب أربعة:

**1- التقليد:** وجدت المراجع مجمعةً على هذا السبب ومقدمةً له على غيره، أعني أن الأبناء يكذبون تقليداً لأبائهم وأمهاتهم، أو للوسط الذي يخاطبونه من أصحاب وأصدقاء. فالوالدان والأصحاب يدربون الابن على الصدق ويدربونه على الكذب، وهذا فحوى نظرية المرأة في التربية التي وردت في الخطبة الماضية.

ذكروا عن الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه أنه قال: بنيت أمري على الصدق؛ وذلك أني خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم، فأعطتني أمي أربعين ديناراً وعاهدتني على الصدق، فلما وصلنا أرض همدان خرج علينا عرب فأخذوا القافلة. فمرَّ واحد منهم وقال: ما معك؟ قلت: أربعون ديناراً...! فظن أني أهزأ به فتركني، فرآني رجل آخر فقال: ما معك؟ فأخبرته. فأخذني إلى كبيرهم فسألني فأخبرته، فقال: ما حملك على الصدق؟ قلت: عاهدتني أمي على الصدق فأخاف أن أخون عهداً.

فصاح ومزق ثيابه وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أمك وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله. ثم أمر برد ما أخذوه من القافلة وقال: أنا تائب لله على يديك. فقال من معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق وأنت اليوم كبيرنا في التوبة. فتابوا جميعاً ببركة الصدق.

فأول أسباب الكذب: التقليد.

أذكر أن أباً أمله كذب ابنه ودفعه يوماً إلى عقوبته عقوبةً قاسيةً، ولما كان الأب يهوي بيده ليضرب ابنه الضرب المبرح قائلاً: ألم أنهك مراراً عن الكذب فلماذا تكذب؟ بادره الابن الذي أنهكه الضرب بالقول: أكذب لأنك تكذب...!

أول أسباب الكذب: التقليد.

**2- الشعور بالنقص:** فعندما يجد الابن نفسه عاجزاً أو مقصراً في التوافق مع زملاء أو في تحقيق الرغبات أو يجد انصراف الوالدين إلى أخيه الصغير، يدفعه هذا العجز والقصور والحاجة إلى الكذب ليعوض النقص والقصور.

فتراه يبالغ فيما يملكه أو في صفاته وصفات ذويه لجذب الانتباه إليه، وتراه يتمارض كذباً ليستدر العطف والحنان.

**3- الهروب من العقوبة القاسية أو من الواجب الثقيل:** فعندما يُهدد الابن بعقوبة قاسية إن فعل أمراً أو إن لم يفعل آخر يجد في الكذب وسيلةً للحصول على الأمن والحماية. ومثل ذلك عندما نرهقه بتحمل المهمات التي تفوق قدرته والواجبات التي تثقله، يجد في الكذب خلاصاً من هذه الأعباء.

**4- عدم التفرقة بين الواقع والخيال:** هو سبب رابع أخير في أسباب الكذب عند الأبناء، وهو ما يسميه المتخصصون الكذب الالتباسي، ويقولون: عندما يزيد خيال الطفل فلا يُفرّق بين الواقع والخيال، يلتبس عليه الأمر فيقع في الكذب الالتباسي، وقد يكون يحلم فيظن حلمه حقيقة فيرويها على أنه الواقع. ونجد هذا الكذب في سن ما قبل المدرسة، وهو حالة عارضة يُذهبها الوقت والنضج في الغالب.

إذاً: هذه هي أسباب الكذب الأربعة عند الأبناء: التقليد، والشعور بالنقص، والهروب من العقوبة القاسية والواجبات الثقيلة، والالتباس بين الواقع والخيال.

**أيها الإخوة:**

وردت كلمة "الكذب" ومشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من ثمانين ومائتي مرة، كلها في معرض الذم، وتحفظون الحديث المشهور الذي يرويهِ الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «آية المنافق ثلاث: إذا حَدَّثَ كَذِب، وإذا وَعَدَ أخلف، وإذا عاهد غَدَرَ» وفي رواية أخرى: «إذا ائتمن خان».

وقد جاء الحديث عند الإمام مسلم بزيادة: «وإن صام، وصلى، وزعم أنه مسلم».

وقد قال سيدنا عبد الله بن مسعود كما أخرجه النسائي: «فمن كانت فيه واحدةٌ منهن، لم تَزَلْ فيه خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَتْرُكَهَا».

وروى الإمام الترمذي عن ابنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ تَبَاعَدَ عَنْهُ الْمَلَكُ مِثْلَ مَنْ تَنَنٍ مَا جَاءَ بِهِ».

وفيه عن عائِشَةَ، قَالَتْ: (مَا كَانَ خُلُقٌ أَبْغَضَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْكَذِبِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُحَدِّثُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْكَذِبَةِ فَمَا يَرَأُ فِي نَفْسِهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أَخَذَتْ مِنْهَا تَوْبَةً).

فإذا كان الكذب مؤذياً هذا الإيذاء وممقوتاً هذا المقت، وإذا كان الكاذب يتصف بأبغض وصف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويجعل في نفس النبي الكريم شيئاً عليه من الضيق أو الغضب أو الألم، حتى يدع الرجل الكذب، فكيف تساعد ابنك على ترك الكذب وكيف تربي ابنك على الصدق.

### هذا هو المحور الثاني في الخطبة: كيف العلاج؟

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء».

فمن كان له ابن يكذب فليثق بأن شفاؤه قادم بإذن الله ودواءه موجود، وما عليه إلا أن يستخدم الدواء، فإذا وافق الدواء الداء برئ بإذن الله.

1- التزام الوالدين والمربين الصدق ليكونوا قدوةً حسنةً لأبنائهم، فمن وعد أبناءه فليفِ ومن أخبرهم فليصدق.

2- إشباع حاجات الأبناء قدر المستطاع حُباً وحناناً وغذاءً وكساءً، والعدل بينهم في كل ذلك.

3- البُعد عن العقاب القاسي حسّاً ومعنى، بتجنب الضرب المؤذي أو اللوم والتوبيخ المذل، لأن شدة العقاب تعمل على تبلُّد الإحساس وتُحدث تثبيتاً للسلوك غير السَّوي.

4- عدم الإلحاح على الابن للبوح بكل أموره الشخصية؛ الأمر الذي يدفعه إلى الكذب. وتعويده على الاعتراف بالخطأ، وإعطاؤه الأمان ألا يُشهر به أمام إخوانه وأصدقائه.

5- توجيه الابن للقيام بالأعباء التي تقع في نطاق قدرته حتى يستشعر النجاح ويخبره.

6- تبصير الابن بأهمية الصدق فيما يقوله ويفعله، والثناء عليه ومكافأته كلما فعل ذلك.

وبعد:

فهذان محورا خطبة اليوم، ولئن توجهت فيهما للآباء والأمهات، فإنني أختتم بكلمة للأبناء أقول: أيها الأبناء سنعينكم بكل مانستطيع لتكونوا صادقين، لتعيدوا علاقاتنا الاجتماعية إلى ما كانت عليه؛ علاقات تحكمها الكلمة الحرة الصادقة، يقولها الرجل فيبقى رهيناً لها لأنه صادق. يبيع ويشترى بكلمة، يؤجر ويستأجر بكلمة، يعاهد ويفي بكلمة، تخرج روحه من حيث تخرج كلمته.

فنحن نحبكم إن صدقتم ونتألم لكم إن خالفتم، فالزموا جانب الصدق ودعوا الهوى والكذب.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الجمانية: 15]

والحمد لله رب العالمين